

واذكر بك اذا نسيت ولا تكن من الغافلين [الأعراف: 205]، ولم يقل: «ولا تكن من الناسين»؛ فإن النسيان لا يدخل تحت التكليف فلا ينهى عنه» واذكروا نعتي التي أنعمت عليكم [البقرة: 04]، أي تذكروها بأياها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسُمي القول باللسان ذكراً؛ لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه قد كثر اسم الذكر على القول اللساني حتى صار هو السابق إلى الفهم. الذكر يشمل معنيين: الأول: معنى التذكّر واستحضار الشيء في الذهن، وهذا المعنى ضد النسيان. قوله تعالى: (واذكروا نعتي التي أنعمت عليكم [البقرة: 04]، أي تذكروها بأياها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا والثاني: القول باللسان ذكراً؛ لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه قد كثر اسم الذكر على القول اللساني حتى صار هو السابق إلى الفهم. الأول: إطلاق عام؛ ويشمل كل أنواع العبادات من صلاة وصيام وحج وقراءة قرآن وثناء ودعاء وتسبيح وتميد وتمجيد وغير ذلك من أنواع الطاعات؛ لأنها إنما تُقام لذكر الله وطاعته وعبادته. وقال عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-: «وإذا أُطلق ذكرُ الله شملَ كلَّ ما يُقرب العبدَ إلى الله من عقيدة أو فكر أو عمل قلبي أو عمل بدني أو ثناء على الله أو تعلم علم نافع وتعليمه ونحو ذلك، فكله ذكر لله تعالى». الثاني: إطلاق خاص: وهو ذكرُ الله بالألفاظ التي وردت عن الله سبحانه وتعالى من تلاوة كتابه أو إجراء أسمائه أو صفاته العليا على لسان العبد أو قلبه مما ورد في كتاب الله سبحانه، أو الألفاظ التي وردت على لسان رسوله ﷺ، ويكون باللسان، أما ذكر القلب فمعناه: التفكير والتدبر في عظمة الله تعالى وجلاله وآياته الشرعية، وآيات الله في مخلوقاته كالسما والأرض والشمس والقمر. الخ. فيأتي بما أمر وينتهي عما نهى عنه. قاله القاضي عياض. وذكرُ الله باللسان يكون بالتسبيح والتلهيل والاستغفار وقراءة القرآن وكل قول يقرب إلى الله تعالى. ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جيعاً، فإن اقترن على أحدهما فالقلب أفضل. ثم لا ينبغي أن يُترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يُظنَّ به الرياء، بل يذكرُ بهما جيعاً ويُقصدُ به وجهُ الله تعالى، وقد قدمنا عن الفضيل -رحمه الله-: أن ترك العمل لأجل الناس رياء. ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس، والاحتراز من تطرّف ظنونهم الباطلة لانسدَّ عليه أكثر أبواب الخير، وضُيِّع على نفسه شيئاً عظيماً من مهمّات الدين». وأما الذكرُ بالجوارح: فهو العمل بطاعة الله، فكل من عمل بطاعة الله فهو ذاكِر لله. قال النووي: «اعلم أن فضيلة الذكر غير منكرة في التسبيح والتلهيل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كلُّ عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكِر لله تعالى، كذا قاله سعيد بن جبّير -رحمه الله- وغيره من العلماء. وقال عطاء -رحمه الله-: مجالسُ الذِّكر هي مجالسُ الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع وتصلّي وتصوم وتنكح وتطلق وتج، وأشباه هذا» من قال كذا وكذا فله كذا لا يحصل هذا الثواب الموعود به إلا بالتلفظ باللسان، لا يُسمعُ أحداً ولا نفسه، فقال: «ليست هذه قراءة، وإنما القراءة ما حرك له اللسان». 811/ 094. ويدل على ذلك أيضاً: أن العلماء منعوا الجنب من قراءة القرآن باللسان، وأجازوا له أن ينظر في المصحف دون أن يمسه، مما يدل على الفرق بين الأمرين، وأن عدم تريك اللسان لا يُعدُّ قراءة. فأجاب: «القراءة لا بد أن تكون باللسان، وكذلك أيضاً سائر الأذكار، بل لا بد أن يحرك الإنسان بها لسانه وشفتيه؛ لأنها أقوال، ولا تتحقق إلا بتحريك اللسان والشفتين». والصواب أنه لا يُشترط ذلك، بل يكفي أن يحرك لسانه، فبذلك يتحقق الكلام. وردت نصوص كثيرة تدل على إطلاق الدعاء على الذكر الأعم من معنى دعاء المسألة، منها حديث ابن عباسٍ أن رسول الله ﷺ كان يقولُ عند الكرب: «لِإِلَهِ الْعَظِيمِ الْحَلِيمِ، لِإِلَهِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَفِي لَفْظٍ لِلْبَخَارِيِّ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: «. ولكن قال النبي ﷺ عن ربه عز وجل: «من شغله ذكرني عن مسئلتني أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين». 2296 وضعفه الألباني في ضعيف الجامع. قال سفيان: فهذا مخلوق حين نُسب إلى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال فكيف بالخالق؟! وقال الخطابي: «إن الداعي يفتح دعاءه بالثناء على الله سبحانه ويقدمه أمام مسئلته، فسُمِّي الثناء دعاء، إذ كان مقدمة له وذريعة إليه؛ على مذهبه في تسمية الشيء باسم سببه». وقال شيخ الإسلام: «إنَّ كلَّ واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه». • إذا أُريد بالدعاء دعاء العبادة فهو حينئذ مرادف للذكر. وأما الذكر فيكون سؤالاً ويكون غير سؤال. 771671/ 01. 91/ 602. كما أن في الذكر طلب جلب النفع ودفع الضر ورجاء الثواب وخوف العقاب. والحاصل أن العلاقة بين الدعاء والذكر إما ترادف وإما تدادف، وإما عموم وخصوص مطلق، وإما تلازم، ولا يُتصور انفكاك أحدهما عن الآخر، فلماذا كانت أغلب الكتب المصنفة في الأذكار تشتمل على الأدعية وبالعكس. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «إن الدعاء أكثر ما يستعمل في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء في السؤال والطلب؛ كما قال العلماء من أهل اللغة وغيرهم». قراءة القرآن أفضل من الذكر والدعاء المطلق، فالاشتغال به أفضل. قال ابن القيم -رحمه الله-: «قراءة القرآن أفضل من الذكر، فلا يجوز أن 87 77. يُعدل عنه إلى الفاضل، فإنها أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها، وكذلك التسميع والتحميد في محلها أفضل من القراءة، وكذلك التشهد، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة -ذكر التلهيل والتسبيح والتكبير والتحميد- أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذلك إجابة المؤذن والقول كما

يقول أفضل من القراءة، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه، لكن لكل مقام مقال. وهكذا الأذكارُ المقيدة بمَحَالٍّ مخصوصةٍ أفضلُ من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن. مثاله: أن يتفكر في ذنوبه فيحدث ذلك له توبة من استغفار، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تصنّه وتفظه. وكذلك أيضاً قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها أو ذكرها لم يحضر قلبه فيهما، وإن كان كلُّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجراً. وهذا بابٌ نافع يحتاج إلى فقه نفس وفرقان بين فضيلة الشيء فينفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطي كل ذي حق حقه، وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يوماً: سئل بعض أهل العلم أيهما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقياً فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له. قال النووي في الأذكار: «المرادُ من الذكر حضورُ القلب، فينبغي أن يكون هو مقصودُ الذاكر فيحرص على تصيله، ويتدبر ما يذكر، ويتعقل معناه. فحضورُ القلب ساعة الذكر يورث القلب تعظيم الرب وإجلاله، ويستدعي تدبر الذكر وتعقل معناه، العمل بالفضائل حسب الاستطاعة ولو مرة: قال النووي - رحمه الله -: «ينبغي لمن بلغه شيء في فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة؛ ليكون من أهله، بل يأتي بما تيسر منه؛ لقول النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم». والواجب من ذلك لا بد من الإتيان به، والمستحب منه فأكثر منه ما استطعت ولا ترم نفسك فضله وأجره، ولو أن تعمل به مرة واحدة. فلا ينبغي أن يتهاون المسلم بالأذكار الشرعية، وعليه أن ينشغل بها قدر ما يستطيع ولا يهجرها بالكلية. أن يهجر ذكره وينشغل عنه بما سواه. إذا اختلفت الروايات في العدد؛ مثال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، جاءت في أذكار الصباح والمساء: مرة واحدة، وعشر مرات، ومائة مرة. فمن قالها مرة واحدة فقد أحسن، ومن قالها عشر مرات فهو أفضل ممن قالها مرة، ومن قالها مائة مرة فهو أفضل منهما؛ ولذلك جاء أجره على التمام، وليس أحد هو أفضل منه إلا من هَلَّلَ بهنَّ أكثر منه؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قال ل إله إلا الله وحده ل شريك له لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهو عل كلِّ شيءٍ قديرٌ في يومٍ مائةً مرّةٍ كانت لهُ عدلُ عشرِ رقابٍ، فلا يُذكر في مقام اللّهُ واللّهُ واللّهُ والمعصية، لا يجوز افتتاحه بشيء من ذكر الله تعالى، وافتتاح المعصية بالطاعة. وذلك مثل: كتابة البسملة، واستفتاح اللّهُ باللّهُ المحرم، والرّهان المحرم، والرامج المُضَلَّة بالقرآن، أو الحمد، وقد وصل الناس في هذا الزمان إلى حد العبث، والتغطية على عقول السُّدُج بمشروعية تلك المحرمات. تعالى: (فأذكروني أذكركم قال: إن ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكتا) لقصائد الدينية الابتهالات، التي يتلاعب بها الجاهلون من القُرّاء، يتغنّون بها في مواطن الخشوع وأوقات التخلي للعبادة، حتى لبسوا على عامة الناس شعائر الإسلام، فكل أولئك يذكرون الله فيذكروهم الله بلعنته حتى يسكتوا». 062/ وإسناده جيد.

● لماذا الاهتمام بمعاني الأذكار؟ لأن القلب سيستحضر معاني ما يقول فيزداد تعلقاً بربه ومعبوده وينتفع بالذكر أعظم الانتفاع. قال ابن القيم - رحمه الله -: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلبُ اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده». فالخشوع في الصلاة مثلاً مطلبٌ لكل مسلم، وإنّ مما يعين على هذا الخشوع معرفة معاني الأذكار التي تتلفظ بها في الصلاة، فيشعر بلذة الطاعة، أما إذا لم يعرف المصلي معنى ما يقول ولم يتدبره